تفارق عينيه حمرة، وخاتَمُ النبوة بين كتفيه، واسمه محمد وأحمد، وهذه البلدة مولده، وبها مبعثه، ثم يخرجه قومه منها، ويكرهون ما جاء به فيهاجر إلى يثرب، فيظهر الله أمره، وإياك أن تخدع، فإني طفت البلاد كُلَّها أطلب الدين، فكل من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقول: هذا الدين وراءك. قال: فلما نُبّئ رسول الله ﷺ أخبرته بقول زيد، وأقرأته منه السلام، فترحَّم عليه وقال: «رَأَيتُه في الجنَّة يَسْحبُ ذُيولاً»[١].

وخرجت سنة ست وثلاثين، وسبع وثلاثين ولم يتجدد فيها من الحوادث شيء.

* * *

السنة الثامنة والثلاثون من مولده ﷺ

فيها رأى الضوء، وسمع الصوت.

قال ابن مسعود: أقام بمكة ثلاث سنين يسمع الصوت ولا يدري ماهو، ويرى الضوء، وأقام ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ـ يعني بمكة ـ[٢].

* * *

السنة الأربعون من مولده ﷺ

وفيها قتل كسرى أَبَرْويزُ النُّعمانَ بنَ المنذر. قال الواقدي: قتل قبل المبعث بتسعة أشهر[٣].

وفيها كان يوم ذي قار، وكان لبني شيبان على كسرى، وهو أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم. وفي حديث أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «وبي نُصِرُوا»[٤].

---

(١) «الطبقات الكبير» ١/ ١٣٥-١٣٦ و ٣/ ٣٥٢عن الواقدي، عن علي بن عيسى الحكمي، عن أبيه، عن عامر. ولم نقف فيه على الإسناد الذي ذكر المصنف، وأخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢٤١٩)، والطبري ٢/ ٢٩٥، وابن عساكر في «تاريخه» ١٩/ ٥٠٤ ،وابن الجوزي في المنتظم ٢/ ٣٢٨ من طريق ابن سعد .

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٥٣)(١٢٣) من حديث ابن عباس، ولم نقف عليه من حديث ابن مسعود.

(٣) انظر «المنتظم» ٢/ ٣٣٢ .

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» ٢/ ٦٣ من حديث الأخرم عن النبي ﷺ، والطبراني في «الكبير» (٥٥٢٠) من حديث سعيد بن العاص مطولاً.

ويسمى: يوم قُراقر، ويوم الجُبابات، ويوم ذي العُجْرُم، ويوم بَطحاء، ويوم الحِنْو. وكلها أماكن حول ذي قار، وقد ذكرتها الشعراء في أشعارها[١].

قال الجوهري[٢]: ويوم ذي قار يوم لبني شيبان، وكان أبرويز أغزاهم جيشاً، فظفرت بنو شيبان، وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم.

وسبب يوم ذي قار: أن النعمان بن المنذر لما قصد باب كسرى، أودع حلقته وكانت عشرة آلاف شِكَّةٍ[٣] وابنتيه حُرَقَة وهنداً، وزوجته المُتَجرِّدة عند هانئ بن قبيصة ابن هانئ بن مسعود الشيباني، فبعث كسرى إلى هانئ يطلب شِكَّةَ النعمان، وما أودع عنده ، فامتنع هانئ من تسليمها وقال: هي عندي أمانة ووديعة، والحر لا يضيع أمانته، فغضب كسرى وقطع الفرات، ودعا إياس بن قَبيصة الطائي، وكان قد أقطعه ثمانين قرية على شاطئ الفرات، وملَّكه على الحيرة، فشاوره في أمر هانئ، قال: إن أطعتني فلا تُخبرنَّ أحداً لأي شيء قَطَعْتَ الفراتَ لئلا تَقِلَّ حرمتك عند الناس، ولكن ارجع إلى المدائن وابعث إليهم حَلْبَة[٤] من العَجَم، فيها بعض القبائل من العرب التي تليهم من أعدائهم فيواقعونهم، فقال كسرى: قد بلغني أنهم أخوالك، وأَنك لا تألوهم نصحاً، فقال: هذا رأيي، ورأي الملك أفضل. فاستشار النعمانَ بنَ زُرعة التَّغلبي، وكان قد قدم عليه، فقال: الرأي أن تتركهم على ما هم عليه، وتظهر الإضراب عن ذكرهم، فإذا جاء القَيْظُ دَنَوْا من بلادك، واجتمعوا على ماءٍ يقال له ذو قار، يتساقطون عليه تساقط الفراش في النار، فإذا نزلوا عليه فدونك وإياهم، ففعل أبرويز ما قال التغلبي، فلما نزلوا بذي قار أرسل إليهم أبرويز مع النعمان بن زرعة هذا يُخَيِّرهم بين ثلاث: إما أن يُسلموا الحَلْقَةَ، وإما أن يخرجوا من هذه الديار، وإما أن يأذنوا بالحرب، فقال هانئ للنعمان: لولا أنك رسول ما أُبْتَ إلى قومك، انصرف.

فلما انصرف، أشار هانئ بن قبيصة على بكر بركوب الفلاة، وقال: لا طاقة لكم بكسرى، ولم يُرَ لِهانئٍ سَقْطَةٌ قبلها، فقال حنظلة بن ثعلبة العِجْليُّ: إن ركبنا الفلاة متنا عطشاً، وإن أعطينا بأيدينا قَتَلَ مقاتلتَنا وسبى ذرارينا، وما أرى غير الحرب. فنزلوا بذي

(١) انظر «تاريخ الطبري» ٢/ ٢٠٦، و«العقد» ٥/ ٢٦٢.

(٢) في الصحاح (قور).

(٣) الشِّكَّة: السلاح.

(٤) رسمت في النسخ: «حسله» وما أثبتناه من الأغاني ٢٤/ ٦١، وفي «المنتظم» ٢/ ٣٣٥: قبيلة.

قار، ورؤساء بكر يومئذ ثلاثة نفر: هانئ بن قبيصة الشيباني، ويزيد بن مُسْهِر الشيباني، وحنظلة بن ثعلبة العِجْلي، ولم يشهدهم أحد من بني حنيفة ولا غيرهم، وجهز إليهم كسرى إياس بن قَبيصة الطائي، وكان قد ملَّكه بعد ما قتل النعمان بن المنذر على العرب، فسار في طيئ، واللَّهازم، وسائر العرب.

وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود بن ذي الجَدَّين، وأمره أن يوافي إياس بن قَبيصة، فوافاه في جمع عظيم، وانضم إليهم ألف من إياد، وألف من بَهراء، عليهم خالد البَهراني، وجهَّز كسرى الهرمزان في ألفين من العجم والأساورة، فدخلوا البرية وإياس ابن قبيصة في المقدمة، ولما علم القوم، أرسل يزيد بن مُسْهر الشيباني إلى هانئ بن قبيصة: أن ابعث إلينا بحلقة النعمان فانثرها في بني شيبان، وكانت عشرة آلاف، فقال هانئ: وكيف أصنع بأمانتي؟ فقال يزيد: إنَّكم إن هلكتم، فسيأخذون الحلقة وغيرها، وإن ظهرتم فما أقدركم على استردادها من قومكم، فنثرها هانئ في بني شيبان، ودنا إياس والأعاجم من بني شيبان، فقال حنظلة بن ثعلبة: يا معاشر بكر، إن نُشّاب الأعاجم يُفَرِّقكم، فبادروهم باللقاء وعاجلوهم بالقتال، ونادى هانئ: يا قومِ، هالكٌ معذور خير من ناجٍ مغرور، والصبر من أسباب الظَّفَر، والمنية خير من الدَّنِيَّة، واستقبال الموت في عِزٍّ خير من استدباره في ذلٍّ، والجِدَّ الجِدَّ فما من الموت بدّ، ثم ليقاتل كل رجل منكم عن حليلته وولده، فقالوا: طب نفساً، فنحن نمشي إلى الموت، وكان على الميمنة يزيد بن مُسْهِر الشيباني، وعلى الميسرة حنظلة بن ثعلبة العِجْلي، وهانئ بن قبيصة في القلب، وكان على ميمنة الأعاجم الهرمزان، وعلى الميسرة عسكر السواد في مقدم من الأساورة، وفي القلب إياس بن قبيصة الطائي في العرب، والتقى الجمعان فكان يوماً لم يُرَ في الجاهلية مثلُه. ثبتت العرب على نُشَّاب العجم، وقطعت بنو شيبان أكمام أقبيتها من المناكب ليتمكنوا من ضرب السيوف، وأعطى الله النَّصر لبني شيبان، فانهزمت الفرس، وأَتبعهم بنو شيبان حتى دخلوا في السواد، واستدلوا عليهم قتلاً، وأُسر عامةُ الفرس، ونجا الهرمزان وَحْدَه وإياس بن قبيصة على فرس يقال لها: الحمامة، وغنموا أموالهم وخيولهم وسلاحهم، وكان أولَ من قدم على كسرى إياسُ بن قبيصة، وكان كسرى لا يخبره أحد بهزيمة جيش إلا نزع أكتافه، فلما أتاه إياس قال له: ما الخبر؟ قال: هزمنا بكراً، وقتلنا رجالهم، فأعجب به وأعطاه مالاً وكسوة، فاستأذن إياس في الانصراف إلى عين تمر وقال: أخي مريض. فلهذا

سارَعْتُ، فأذن له، ثم سار كسرى من المدائن، فنزل الخَوَرْنَقَ والسَّدير ينتظر الغنائم والأسارى، ثم ركب إلى ظاهر الخورنق يتنسَّمُ الأخبار، فأتاه رجل فسأل: هل دخل على كسرى أحد؟ قالوا: نعم، فظن أنه قد أخبره الخبر لأنه لم يكن أحد يجترئ أن يخبر كسرى بمثل ذلك، فأخبر كسرى فنزع كتفيه.

وقد أكثرت الشعراء في يوم ذي قار، قال جرير: [من البسيط]

مِنّا فوارسُ ذي بَهْدى[1] وذي نَجَبٍ والمُعْلَمونَ صَباحاً يوم ذي قار

وقال العُدَيْل بن الفَرْخ العِجْلي[2]: [من البسيط]

ما أَوْقَدَ الناسُ من نار لمَكْرُمةٍ إلا اصطلينا وكنا موقدي النار
وما يَعُدُّون من يوم سَمِعْتَ به للناس أعظمَ من يومٍ بذي قار
جئنا بأسلابِهِمْ والخيلُ عابسةٌ لَمّا استلبنا لكسرى كل إسوار

وقد قال بعضهم: إن يوم ذي قار كان في سنة سبع من الهجرة، والأول أصح.

وفيها: ظهرت أمارات النبوة قبل أن يوحى إليه ﷺ. قال أبو طالب: وكنت بذي المَجَاز ومعي ابن أخي ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ فأدركني العطش، فشكوت إليه، فأهوى بعقبه إلى الأرض فإذا بالماء، فقال: اشرب يا عم، فشربت[3].

وقالت بَرَّةَ: لما ابتدأه الله بالنبوة، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يَرَى بيتاً، ويُفْضي إلى الشِّعاب وبطون الأودية، فلا يمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله، فكان يلتفت يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً[4].

وقال ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن. انفرد بإخراجه مسلم[5].

* * *

(١) في (خ) و (ك) وأصول العقد الفريد ٥/ ٢٦٥: ذي نهد، والمثبت من مطبوع العقد وديوانه ٢٣٥.
(٢) الأبيات في «الشعر والشعراء» ١/ ٤١٤، و«العقد» ٥/ ٢٦٦.
(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٢٧.
(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ١/ ١٣٢، والحاكم ٤/ ٧٠.
(٥) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.